

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلمون:

إن في تعاقب الشدة والرخاء والعسر واليسر كشفًا عن معادن النفوس، وطبائع القلوب؛ حيث يمحص الله جل وعلا المؤمنين ويكشف الزائفين. وإن مما حث عليه الإسلام وعظمه القرآن الثبات على الدين والاستقامة عليه؛ ذلك أن الثبات على دين الله والاعتصام به يدل دلالة قاطعة على سلامة الإيمان وحسن الإسلام، وصحة اليقين، وحسن الظن بالله تعالى وما أعده الله عز وجل من النعيم المقيم في الآخرة لعباده الصالحين، وما أعدّه لهم في الدنيا من النصر والتمكين؛ قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}**.

إن الثبات على دين الله خلق عظيم، ومعنى جميل له في نفس الإنسان الثابت وفيمن حوله من الناس مؤثرات مهمة تفعل فعلها وتؤثر أثرها، وفيه جوانب من الأهمية الفائقة في تربية الفرد والمجتمع، فصفة الثبات

على الإسلام والاستمرار على منهج الحق نعمة عظيمة حبا لله بها أوليائه
وصفوة خلقه، وامتن عليهم بها فقال مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ:

{وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا}.

إنَّ الثبات على دين الله دليل على سلامة المنهج وداعية إلى الثقة به، كما
أنه طريق النصر والتمكين.

المؤمن يصبر على ما أصابه موقناً أنَّ العاقبة للتقوى:

قال الله تعالى: **{فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ} .**

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله: **{فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا
يَقُولُونَ}** من الذم لك والتكذيب بما جئت به، واشتغل عنهم والله
بطاعة ربك وتسبيحه، أول النهار وآخره، وفي أوقات الليل، وأدبار
الصلوات. فإن ذكر الله تعالى مُسَلِّ للنفس، مؤنس لها، مُهَوِّن للصبر.

وقال سبحانه: **{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا**

يُوقِنُونَ{.

قال العلامة السعدي رحمه الله: {فَاصْبِرْ} على ما أُمِرْتَ به وعلى دعوتهم إلى الله، ولو رأيت منهم إعراضا فلا يصدنك ذلك.

{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أي: لا شك فيه وهذا مما يعين على الصبر فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملا هان عليه ما يلقاه من المكاره ويُسر عليه كل عسير واستقلَّ من عمله كل كثير.

{وَلَا يَسْتَخَفِّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} أي: قد ضعف إيمانهم وقلَّ يقينهم فخفت لذلك أحلامهم وقلَّ صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء فإنك إن لم تجعلهم منك على بال وتحذر منهم وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفوس تساعدكم على هذا وتطلب التشبه والموافقة وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موقنٌ رزقُ العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه. فالأول بمنزلة اللبِّ والآخر بمنزلة القشور فالله المستعان. اهـ والآيات في ذلك كثيرة معلومة.

ومن فوائد الابتلاء:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في " زاد المعاد ": فَلَوْلَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُدَاوِي عِبَادَهُ بِأَدْوِيَةِ الْمَحَنِ وَالْإِبْتِلَاءِ لَطَغَوْا، وَبَغَوْا وَعَتَوْا. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ سَقَاهُ دَوَاءً مِنَ الْإِبْتِلَاءِ، وَالْإِمْتِحَانِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ؛ يَسْتَفْرِغُ بِهِ مِنَ الْأَدْوَاءِ الْمُهِلِكَةِ، حَتَّى إِذَا هَذَّبَهُ وَنَقَّاهُ وَصَفَّاهُ أَهْلَهُ لِأَشْرَفِ مَرَاتِبِ الدُّنْيَا، وَهِيَ عُبودِيَّتُهُ وَأَرْفَعَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ رُؤُوسُهُ وَقُرْبُهُ. اهـ

من نعمة الله على عبده ثباته على الحق ، وعدم التلون فيه:

روى البيهقي في " شعب الإيمان " عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رحمه الله قَالَ: " إِنَّ هَذَا الْحَقَّ جَهَدَ النَّاسَ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا صَبَرَ عَلَى هَذَا الْحَقِّ مَنْ عَرَفَ فَضْلَهُ وَرَجَا عَاقِبَتَهُ ، إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا قَرَأُوا الْقُرْآنَ لَا يَعْلَمُونَ سُنَّتَهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنْ أَتْبَعَهُ

بِعَمَلِهِ ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَقْرَءُونَهُ ، إِنَّكَ لَتَعْرِفُ النَّاسَ مَا كَانُوا فِي عَافِيَةٍ ،
فَإِذَا نَزَلَ بَلَاءٌ صَارَ النَّاسُ إِلَى حَقَائِقِهِمْ ، صَارَ الْمُؤْمِنُ إِلَى إِيْمَانِهِ ،
وَالْمُنَافِقُ إِلَى نِفَاقِهِ " . اهـ

فله الحمد والمنة لم نتغير عن منهجنا منهج أهل السنة والجماعة
قدر أنملة ولا أقل من ذلك ، وكذا كل طلابنا والله الحمد والمنة ،
صبروا على المنهج مع ولاة أمورهم وذلك بالدعاء لهم بالتوفيق
والسداد ولم يتكلم أحد كلمة سوء فيهم . وهذا من فضل الله علينا وله
سبحانه الفضل والمنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا .

أخرج الهروي في " ذم الكلام وأهله " ، وابن بطة في " الإبانة الكبرى " ،
واللالكائي في " شرح أصول الاعتقاد " عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ حُذَيْفَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ " اْعْهَدْ إِلَيْنَا
فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُكَ بِأَحَادِيثَ قَالَ أَوْ مَا أَتَاكَ الْحَقُّ الْيَقِينُ
قَالَ بَلَى قَالَ اْعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَعْمَى الضَّلَالَةِ أَنْ تَعْرِفَ مَا كُنْتَ تُنْكِرُ أَوْ أَنْ
تُنْكِرَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ " .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى": وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَلَا صَالِحِ عَامَّتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ بَلْ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ أُمْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمَحَنِّ وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ وَهَذِهِ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَاتَّبَاعِهِمْ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ كَأَهْلِ الْأَخْذُودِ وَنَحْوِهِمْ وَكَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ حَتَّى كَانَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: " لَا تَغْبِطُوا أَحَدًا لَمْ يُصِبْهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ بَلَاءٌ ". اهـ

المتلون في الدين لا يكون أمينًا :

أخرج البخاري في الأدب المفرد وقال الألباني : حسن صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم قَالَ: " لَا يَنْبَغِي لِذِي الْوَجْهَيْنِ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا ".

المتلون يأتي يوم القيامة وله لسانان من نار:

أخرج الطبراني في "الأوسط" وصححه الألباني في "الصحيحة"

بطرقه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ».

قال الذهبي رحمه الله في كتابه "الكبائر": وَمَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَمَعْنَى مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ أَيَّ يَتَكَلَّمُ مَعَ هَوَائٍ بِكَلَامٍ وَهَوَائٍ بِكَلَامٍ وَهُوَ بِمَعْنَى صَاحِبِ الْوَجْهَيْنِ . اهـ

كيف تعرف هؤلاء المتلونين ؟

١ - يُعرف المتلون مهما أخفى شره بجليسه: أخرج ابن بطة في "الإبانة الكبرى": قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ: إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: أَنَا أُجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ ، وَأُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدْعِ ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

وأخرج رحمه الله في " السابق ": كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ يَقُولُ: مَنْ سَتَرَ عَنَّا بِدْعَتَهُ لَمْ تَخَفْ عَلَيْنَا أَلْفَتُهُ .

٢- يُعرف المتلون من قسمت وجهه وفلتات لسانه: قال شيخ

الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع

الفتاوى": "فَالْمُنَافِقُ لَا بُدَّ أَنْ يُظْهَرَ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى نِفَاقِهِ

وَمَا أَضْمَرَهُ كَمَا قَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ: مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَظْهَرَهَا

اللَّهُ عَلَى صَفَحَاتٍ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنْ الْمُنَافِقِينَ:

{وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ} ثُمَّ قَالَ: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي

لَحْنِ الْقَوْلِ} وَهُوَ جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ أَيْ: وَاللَّهِ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ

الْقَوْلِ فَمَعْرِفَةُ الْمُنَافِقِ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ لَا بُدَّ مِنْهَا وَأَمَّا مَعْرِفَتُهُ بِالسَّيْمَا

فَمَوْقُوفَةٌ عَلَى الْمَشِيعَةِ. اهـ

وقال رحمه الله في "المصدر السابق": "وَدَلَّ عَلَى أَنَّ ظُهُورَ مَا فِي

بَاطِنِ الْإِنْسَانِ عَلَى فَلَاتٍ لِسَانِهِ أَقْوَى مِنْ ظُهُورِهِ عَلَى صَفَحَاتِ

وَجْهِهِ؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ تُرْجَمَانُ الْقَلْبِ فَاِظْهَارُهُ لِمَا أَكْنَهُ أَوْ كَدُّ. اهـ

التلون من صفات المنافقين:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "طريق الهجرتين": "ومن صفاتهم

كثرة التلون، وسرعة القلب، وعدم الثبات على حال واحد: بينا تراه على حال تعجبك من دين أو عبادة أو هدي صالح أو صدق، إذ انقلب إلى ضد ذلك كأنه لم يعرف غيره، فهو أشد الناس تلوناً وتقلباً وتنقلاً، جيفة بالليل قُطِرَبٌ بالنهار.

أيها المسلمون:

احذروا رحمكم الله هؤلاء المتلونين في دين الله، فهم كالعقارب: قال الإمام البربهاري رحمه الله كما في "طبقات الحنابلة": مَثُلُ أَصْحَابِ الْبِدْعِ مَثُلُ الْعُقَارِبِ يَدْفَنُونَ رُؤُوسَهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فِي التُّرَابِ وَيُخْرِجُونَ أَذْنَابَهُمْ فَإِذَا تَمَكَّنُوا لَدَغُوا وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْبِدْعِ هُمْ مَخْتَفُونَ بَيْنَ النَّاسِ فَإِذَا تَمَكَّنُوا بَلَغُوا مَا يَرِيدُونَ.

أيها المسلمون:

لا تلتفتوا إلى أقوال هؤلاء المتلونين ولا إلى كثرتهم: قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين": قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقَلَّةِ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ،

وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ "، وَكُلَّمَا اسْتَوْحَشْتَ فِي تَفَرُّدِكَ فَانْظُرْ إِلَى
الرَّفِيقِ السَّابِقِ، وَاحْرِصْ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِمْ، وَغُضِّ الطَّرْفَ عَمَّنْ
سِوَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَإِذَا صَاحُوا بِكَ فِي طَرِيقِ
سَيْرِكَ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّكَ مَتَى التَفَتَّ إِلَيْهِمْ أَخَذُوكَ وَعَاقُوكَ . اهـ

كتبه

علي بن عبد العزيز موسى